

النحجي الذي بهر العاظم

جورج وشنتن كارفر

لما سار سمرقون النبي

منذ بضع سنين سافرت الى ولاية الاباما إحدى الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة - لزيارة معهد نسجي وهو المدرسة التي يتعلم فيها الزوج . وبينما أوشك أن أبلغ غابني من هذه الرحلة إذ ابي أمج زنجياً ينقل خطاه في معقة وهناك وهو ينوء بحمل ثقيل من الزهور الجليلة . وكان الناظر اليه في جسده الهزيل الذي أحنته الشيوخة وشعره الذي اشتعل بياض المشيب والذي نثره إلا قليلاً بقعة مزرقة ، لتأخذه عليه رقة ورحمة وهو يتنقل في هذه الأماكن التي خصصت للتعليم .

باله من شيخ مسكين الكم شاهدت الكثير من أمثاله وأنداده من الجلاء الذين لا يعرفون الكتابة أو القراءة . أنهم يطوفون هنا وهناك باحثين عما يسدون به رمقهم ولجأة فتتح باب إحدى المائر وأهدت منه فتاة رشيقة شابة وأقبلت مهرولة نحو ذلك العجوز لتقول له : إن وفد وشنتن في انتظارك يا أستاذ كارفر .

وأدهشني ما تكشف لي فان هذا النحجي الذي يعني في أعماله بالية لم يكن إلا العلامة جورج واشنتن كارفر العالم الممتاز في معهد توسكيجي والكيميائي صاحب المواهب الفذة والشهرة الواضحة .

ولقد ولد وبدأ واستقبل الحياة بغير أن يكون له حتى اسم يعرف به فلم يكن يعرف قط أباه ولا أمه ولا هيتاً إلا تاريخ ميلاده . والمطوفون أنه بلغ الثامنة والسبعين لما وافته منيته في عام ١٩٤٣ . ولقد اشتغل طوال حياته وهو يؤدي خدمات عامة قدير المين راضي النفس بولك من العدم شيئاً وقد أثمرت بحورته في معهد نسجي معجزات علمية . وحسبك أن تعلم أن هذا العالم النحجي الجليل قد استخرج من القوم السوداني ثلاثمائة صنف منها الجنة والحلوى ومسحوق البن والتوابل (البهار) وأنواع شتى منه ودهن

الخيزر وانديتيق والصايون ودهان التجميل وخبز المطايع وحتى شحم العربات كما استطاع
أن يسخن من حرارة الخشب رخاماً وأن يصنع من طين المستنقعات والخرق ما يقطن من
الأفكار ما لا يحصى. فبما يقيد التربة ويزيد غلتها، ووفق إلى أن يسخر من الحرارة
التي في مادة عنصر الحديد من بينها انقضاء وخراب المكاتب والبرية السوداء والخل
والمداد والشراب.

وقال عند انبثاقه إذا جلد جميع الآلي جاهدوا للنهوض بالزراعة في جنوب إفريقيا المنحدرة
وليس هذه الروائع والبذائع كل ما خفضت منه عبقرية هذا الزنجي العظيم.
فهاك ما عوياً أكثر فقد كان العلامة كارفر فناناً موهوباً. رسم الزهور في مهارة
وحذق وقد امتازت لوحاته في المعارض الدولية وطلبت إحدى لوحاته لترتفع متحف
لوكسبورج وكان رسم بنفسه على ورق صنع من قشر الثور السوداني كما كان يتخذ من
قشر سابل النرة اطارات للصور. وكان يصنع من الألياف التي يتخذها من حيطان
شجيرات القطن سجاجيد فاخرة.

لقد قال لطلابه يوماً: لو أنكم أنعمتم أعمالكم العادية في الحياة بطريقة مادية كذلك
للقتم إليكم ألقار العالم ومهرتم هذه الألقار. وقد كشف العلامة بذلك عن سر نجاحه في
الحياة وكان كارفر يعيش في كوخ حقير ولم يكن قد جاوز الشهر السادس من عمره لما
اختلفت بعض العصابات كما اختلفت أمه. وأصيب الطفل الصغير بسعال ديكبي كان يودي
بجيانته لولا أن أنقذه نهران من البصرين الذين كرموا أحيائهم على تحرير رائسيه الذين أسرهم
مثل هذه المعانيات. أما والدته هذا العبد الذي أصبح فيما بعد طاكاً ينظر إليه بالبنان
فقد ييمت ولم يعرف ولدما مقرها ولا واقاه منها نبأ أو بصير.

وتعلم الطفل سيد له من آل كارفر الذين تولوا تربيته وأصنوه جورج وقد أضاف
إلى الاسم فيما بعد وشغلن وكان الباحث له على هذه لاضافة اختلاط رسائله مع آخر
يدعى جورج كارفر ولما كان جورج هذا حقيقاً صغير الجسم بالنسبة إلى سنه فقد عهد
إليه سادته أول الأمر ببعض أعمال المنزل فإلمت أن أصبح طاعياً ماهراً ثم تعلم كيف
يصالح الثياب. وفكر أن كارفر في دفع عدمه إلى المدرسة لينهل ما طالب له من المعرفة،
بيد أنهم حبسوا عنه المال فأذا يده منه صفر. وهكذا ركب جورج لتعلمه إغفر أن يصير
جيوبه فليس شاخصاً إلى مدرسة بسد من دار سادته ثلاث عشر كيلو متراً.

ولما لم يكن يعرفه أحد فقد قدر له أن يبيت أول الأمر في امطبل جيباد حقيق ثم
عهد إليه بأعمال الطهي وافذ له بعد ذلك بتخول المدرسة. ولما أكمل دروس المدرسة

الثانوية - تقدم بطلب كتابي يكتسب فيه إخطافه بأحدى جامعات ولاية أيوا وجاءه الرد بأن الجامعة قد قبلته بين طلابها عدا أن ولاذ الأمور في الجلسة فادوا ورفضوا قبوله لما تبين لهم أنه زهمي وماد إن أحمال الطهي من جديد بغير أن يتانه بأس أو ففرت واستطاع أن يدخل من دخله الضئيل ما أنكس من فتوح حازت صغير لملل الملايس وإمد خمس سنين أتبع له أن يدخل جامعة سينسورن بولاية أيوا ولما كان قبوله بالمصروفات فقد راض نفسه على أن يعين أسبوعاً كاملاً على دقيق القدره والدهن حتى يستكمل المصاريف المطلوبة . وفي ربيع عام ١٨٩١ قبل بين طلاب جامعة أيوا ولم تعض ثلاث سنوات ونصف سنة حتى اجتاز بتفاح باهر امتحان الزراعة .

وقد بهر السلطات بمجاح هذا الرهمي في تفوق وتبريز فعرضوا عليه أن يضم إلى هيئة التدريس وهكذا أصبح الطالب أستاذاً والتلميذ معلماً . وقد تعرفه أثناء وجوده في هذه الجامعة بالعلامة بوك . ت . وشنطن المري الرهمي الكبير الذي ما لبث أن دعاه لزيارة معهد تجسي . ووجد كارفر في هذه المعهد ساحة طيبة يخدم بها مواطنيه من أهل الجنوب . وقد أدرك كارفر أن الأراضي التي تزرع قطعاً أخذت في انقاص خلتها من الفطن تدريجياً لأن الزراع لا يفكرون في ترتيب الزراعة . ووجد أن الزراع الذين أنظلمت الديون يكافون النفاق والفاقه زاحفة عليهم ، فشرع في أخذ يطعمهم وسائل أخرى قدر عليهم المال بطريقة غير زراعة القطن ولقد افتتح بعد تجارب عدة أجراها أن سكان الجنوب يفيدون كثيراً وبرحون مالاً جماً بمجهد أقل إذا انصرفوا عن زراعة القطن واستمضوا عنه بزراعة القبول السوداني والبطاطة . غير أن العالم الكبير بفاجي بنتائج غير التي كان يجرها فإذا أزرع قد هلك وإذا الزراع قد خسروا ما أنفقوا من مال . ولم يتطرق اليأس إلى العالم الكبير القلب فقد أكب على تجاربه في مدته ليل نهار - وراض نفسه على أن يفوز أو يكون من الهالكين ، ونجح العالم ووفق في تجربته وكلا استخرج من تجاربه مادة جديدة قدمها للناس بغير مقابل لا يسأل من يقتبسها منه إلا شيئاً واحداً أن يستخدم ما تعلمه لخير الانسانية والانسانية وحدها .

وقد تزامت الأمور الطائفة تحت قدميه فكان يبيع عنها بوجهه لأن المال لم يكن فائته وإنما كانت فائته أن يخدم البشرية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وكثيراً ما كان كبار الملاك من أصحاب زراعة القبول السوداني الواسعة يعرضون عليه أموراً طائفة ليهديهم إلى أسباب هلاك محاصيلهم منه فكان يرد الرسل بما حملوا من أموال ويزودهم بارشادة السديدة من أسباب تلف المحصول والوسائل التي تصونه بعد ذلك .

(ملخصة من مجلة أميركان مجازين)